محاولات الفلاسفة في فلسفة اللغة في صياغ الفلسفة الحديثة

م. م هبه عبد ابراهيم

hebaabd@uomustansiriyah.edu.iq

لا بد قبل البدء أن نعرف ماهي اللغة؟ وماهي فلسفة اللغة؟ من خلال تعريفهما:

حيث تعرف اللغة على انها هي مجموع من الأصوات المفيدة، وهي (ما يعبر بها كل قوم عن اغراضهم) كما أنها تطلق على ما يجري على لسان كل قوم، لأن اللسان هو الآلة التي تتم بها النطق.

كما ان تعبير فلسفة اللغة بالمعنى الواسع يشير الى كل فلسفة تعرضت في اثناء تطورها الى مسألة اللغة وتناولتها بشكل مفصل، أما تعبير فلسفة اللغة بالمعنى المحدد، فانه يشير الى تيار رئيسي في الفلسفة المعاصرة، مهيمن في العالم الانجلو ساكسوني، برز هذا التيار الفكري في فجر القرن العشرين من خلال انقلاب في النظر اطلق عليه(المنعطف اللغوي والذي كان مطلوباً منه المساهمة في التجديد العميق في مفهوم الفلسفة وفي ممارستها في آن معاً.

وان أول فيلسوف استعمل مصطلح فلسفة اللغة هو الفيلسوف الايطالي بندتو كروتشه، كما أنه يرى أن مفهوم فلسفة اللغة يلعب دوراً توجيهياً في عملية البحث الجمالي وأن نظريته في اللغة تقوم على الجانب الفكري والابداعي، فقال (اللغة فعل فكري وابداعي)، وأن ما هو مهم في اللغة ليس علاقتها بالفكر وانما ماله علاقة بالعاطفة والشعور الذي ينعكس في الصور والاشكال.

ان فلسفة اللغة مبحث فلسفي حديث، وظهر في بداية القرن العشرين، الا أن هناك من يعتقد أن فلسفة اللغة قديمة قدم الفلسفة، وترجع الى مختلف الآراء الفلسفية

التي قيلت حول طبيعة اللغة وعلاقتها بالفكر والواقع فنقرأها في نصوص افلاطون وارسطو والفارابي وديكارت وغيرهم.

وبرغم من اختلاف الآراء حول ميدان فلسفة اللغة بحسب التيارات الا ان الموضوعية تفرض النظر الى فلسفة اللغة انطلاقاً من النقلة النوعية في ميدان المنطق الرياضي والالسنة والتأويل أو فلسفة التأويل وهو الذي أدى الى بروز رأي يدافع عن فكرة أن فلسفة عن فكرة أن فلسفة اللغة فرع فلسفي مثله مثل بقيه الفروع الفلسفية الاخرى، كفلسفة التاريخ والعلوم وغيرها أي أن فلسفة اللغة مبحث مستقل له موضوع خاص وهو اللغة منظوراً اليه من الزاوية الفلسفية وله مناهج قائمة بذاتها، ولغة خاصة، وتاريخ معين ونظريات اساسية، مثل النظريات المنطقية والالسنية والتأويلية.

لقد اهتم الفلاسفة بمنهج التحليل وقد عرفت الفلسفة في العصر الحديث باهتمامها بذلك, كما هو عند ديكارت وليبنتز لوك وباروخ سبينوزا، فقد طبق ديكارت المنهج فيما بعد على اللغة، وله أثر واضح على النظريات المعاصرة في اللغة، والمعنى ورأي سبينوزا في كتابة رسالة في اصلاح العقل، اذ يرى أن الكلمة هي جزء من مخيلة الانسان، وهذه المخيلة عرضه للخطأ فلا بد من تنبه لها ومنع الوقوع في الخطأ، فتأكيد سبينوزا في رسالة على أن الكلمات علامات للأشياء على ما تكون عليه هذه الأشياء في المخيلة ولا على نحو آخر بما انه المخيلة لها علاقة بالعالم المحسوس فلذلك لكلام هذه العلاقة.

لقد بحث لوك في طبيعة الالفاظ في اثناء معالجة مشكلة المعرفة، فالمعرفة الانسانية متكونة من افكار مفاهيم مصوغة يرمز برمز لغوية فلأنسان غير مفطور على اللغة، ورغم من أن الله قد زود القدرة على استخدامها عندما وهبة القدرة على النطق بالأصوات، أما بالنسبة للعلاقة الفكر فيرى أن الفرد حر في الاختيار رموز

للغة المعبرة عن افكار الخاصة، ولا بد من أن يكون هناك اتفاق وتناسق بين الرموز التي تنقل الى الاخرين ليحدث التفاهم في نقل معنى الفكر بين المتحدث والمتلقي.

أن ليبنتز حاول تشيد لغة رمزية في الفلسفة بدلاً من اللغة الغامضة التي تتصف بها اللغة الفلاسفة، فاستطرق ليبنتز تحديد رمز للكل فكرة فلا يدل الرمز على اكثر من فكرة، وهكذا تكون علاقة الرموز بالأفكار علاقة واحدة بواحد اراء للغوية انطلاقاً من رد على رسالة ديكارت الى ميرسن يقول ديكارت" أن اللغة عقلانية وشاملة هي اللغة ممكنه نظرياً لا يجوز الأمل ابد برئيتها لان ابتكارها متوقف على الفلسفة الحقيقية"، فاعتقد ليبنتز مهما تتوقف هذه اللغة على الفلسفة الحقيقة فهي لا تتوقف على كمالها، ويمكن قيامها وأن لم تكن الفلسفة كاملة بقدر ما تزايد علم البشر ستتزايد هذه اللغة، وهذه يعني أن ليبنتز امام مشروع تكوين اللغة كلية مثالية يتم بموجبها اجتاز للأفكار البسيطة بحيث تعطينا نوعاً من الابجدية للأفكار الانسانية والعراب عن الافكار المركبة بتركيبات رموز عناصرها.

اهتم جورج باركلي بمسألة اللغة ويرى بأن معنى الالفاظ هو الذي يحدد استعمالا لها، وقد رفض ديفيد هيوم المعاني المجردة ويقول" معانينا جميعا هي في الحقيقة معاني جزئية مرتبطة باسم كلي"، فلفظ كتاب يشمل انواعاً مختلفاً باللون والعدد والنوع ولكن ذكر هذه اللفظة يحيلنا الى هذه المعاني

لقد استمر الاهتمام باللغة عند الفلاسفة وصولاً الى القرن التاسع عشر فقد برزت أهمية اللغة من خلال الدراسات اللغوية وتاريخيه ومقارنة، وما نجد عند نيتشة الذي حاول هدم الفلسفة منطلقاً من اللغة وفقاً للغة الفيلولوجيا، ولم ينشأ انتقاد مشكلات الفلسفة لأن ذلك يعني البقاء يضمنها فنطلق من اللغة التي تخضع للخطاب الفلسفة فكانت اللغوية في تلك الفترة تحاوله معرفة صلات الربط بين اللغات المختلفة، ولا سيما الاوربية منها وتتبع القواعد الصوتية والصرفية التي سارت عليها في الابتعاد عن اللغة الام، وانتشرت كتب وقواعد اللغات الاوربية التي اطلق عليها

علمـاء اللغـة الاوربيـون اسـم القواعـد التقليديـة وظلـت متداولـة حتـى مطلـع القـرن العشرين وتعتبر نظرياتها رد فعل لتلك القواعد.